البعد القومي في فكر النخبة الجزائرية في مطلع القرن العشرين

"عمر بن قدور الجزائري نموذجاً"[1]

أ- قرين مولود
بالمدرسة العليا للأساتذة- بوزريعة-

منذ بداية الاحتلال الفرنسي حاولت الإدارة الاستعمارية تمزيق المرجعية الحضارية للأمة الجزائر، وتشويه هويتها العربية الإسلامية، إلا أنها عجزت عن زعزعة عقيدة الجزائريين الراسخة في انتمائهم العربي والإسلامي[2] وظل البعد العربي واضحا في الحركة الوطنية منذ بداية الاحتلال.

وقد ازداد ارتباط الجزائريين بالبلدان العربية الإسلامية في أواخر القرن التاسع عشر(19م) وبداية القرن العشرين(20م)، نتيجة الحوادث التي شهدتها بعض البلدان العربية والإسلامية، والتي كانت تصل أصداؤها إلى الجزائر عن طريق الحجاج أو الجرائد التي كانت تدخل الجزائر خفية، ومن بين هذه الحوادث احتلال فرنسا لتونس عام 1881م وإنجلترا لمصر عام 1882م، وما ترتب عن ذلك من مقاومة وردود

(1)- عمر بن قدور الجزائري(1886- 1932م): هو مصلح وصحفي ولد في مدينة الأربعاء ضواحي الجزائر العاصمة، تتلمذ على يد المصلحين الجزائريين الأوائل كعبد القادر المجاوي، وابن سماية، وبن زكري، سافر إلى تونس ومصر، وهنالك أقام عدة علاقات صداقة مع رواد النهضة التونسية أمثال: الطيب بن عيسى، حسين الجزيري وإبراهيم بن شعبان،كما تأثر بالشبيبة المصرية وبحركة مصطفى كامل. وراسل عدة صحف مصرية كاللواء والمؤيد، وصحف مشرقية كجريدة الحضارة التركية، وتونسية مثل جريدة التقدم، والمشير والوزير، وفي الجزائر أصدر جريدة الفاروق وجريدة الصديق تميزت كتاباته بالطابع الديني والتربوي والاجتماعي، وقد عارض بعض السياسات الفرنسية خاصة قانون التجنيد الإجباري، كما تميزت كتاباته بالبعد القومي إذ اهتم بأغلب قضايا العالم العربي والإسلامي في مطلع القرن العشرين، نفي إلى الأغواط سنة 1915م، وهناك تأثر بالطريقة التيجانية، وبعد خروجه من المنفي اعتزل النشاط السياسي إلى أن توفي سنة 1932م.للمزيد راجع: - قرين مولود، عمر ابن قدور الجزائري واهتماماته بالقضايا العربية والإسلامية (1886- 1932م)، رسالة ماجستير (مرقونة)، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2011م.

(2) -Kamel Filali, « En ce Yannayer 2962, L'idéologie complique La donne politique et parasite L'identitaire », in : El watan ,21janvier 2012 .

أفعال، كما استغل الجزائريون فترة الحاكم العام "جونار"(Jonart)([1]) المتفتح على الثقافة العربية الإسلامية ليعبّروا صراحة عن انتمائهم الطبيعي، خاصة بعد زيارة "محمد عبده" للجزائر، والسماح لمجلة "المنار" لسان الحركة العبدوية بالدخول إلى أرض الجزائر([2]).

ومن مظاهر البعد القومي في الحركة الوطنية الجزائرية اهتمام النخبة الوطنية في وقت مبكر بقضايا المغرب والمشرق الإسلاميين، فلم تلههم مآسي وطنهم الصغير عن تتبع آلام وطنهم الكبير. وإن كانت النخبة المفرنسة أقل ارتباطا بالقضايا القومية والإسلامية نتيجة تأثرها بالثقافة الغربية كما صورتها لها المدرسة الفرنسية، فإن النخبة المعربة كانت شديدة التعلق بالعالم العربي والإسلامي الذي اعتبرته دوما موطنها الثاني، ومن أمثال هؤلاء:

عبد القادر المجاوي ومحمد السعيد الزاهري و إبراهيم أطفيش وغيرهم([3]).

ويبدو أن نمو و تبلور الشعور القومي في خطابات النخبة الجزائرية كان نتيجة القواسم المشتركة مع العالم العربي والإسلامي، والمتمثلة في:"الضيم الاستعماري والتفاعل التاريخي واللغوي والديني وحتى المصيري"([4]). ولعل الدّارس لأدبيات الحركة الوطنية الجزائرية يلاحظ أن الصحفي عمر بن قدور الجزائري (1886-1932م) كان من أبرز رواد النهضة الجزائرية الذين جسدوا البعد القومي في كتاباتهم الصحفية، فإلى جانب اهتماماته بالقضايا الوطنية فإنه كان ملما بكل التطورات السياسية التي شهدها العالم العربي والإسلامي خلال الربع الأول من القرن العشرين متفاعلا مع أغلب القضايا الحساسة التي شهدتها المنطقة، كما

---

(1)- جونار: كان نائبا في البرلمان الفرنسي، ثم في مجلس الشيوخ، وكان إطارا في حكومة "لويس تيرمان" ، ثم وزيرا عام 1893م، عين حاكما عاما على الجزائر ثلاث مرات: الأولى امتدت من (1900إلى 1901م)، والثانية من (1903إلى 1911م)، والثالثة سنة 1918م وعزل في نفس السنة، اتصف حكمه بأنه كان أقل وطأة على الأهالي، حيث شجع الدراسات العربية والإسلامية وأسس مدارس جديدة في العاصمة وتلمسان، للمزيد انظر:

-Ali Merad, «L'enseignement Politique De Mohammed Abdou aux Algériens (1903) »,in : Orient ,N°28,1963,Paris , P 93.

(2)- سعد الله، شعوب وقوميات، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008م، ص 14.

(3)- حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1920- 1954م، أطروحة دكتوراه (مرقونة)، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2011م، ص ص 43- 44.

(2)- أحمد مريوش،الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، أطروحة دكتورة دولة (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2006م، ص19.

وقف بقلمه مناصرا للأقطار العربية والإسلامية في كل النكبات التي مرّت بها، ويظهر ذلك فيما يلي:

1- قضايا المغرب العربي:

أ- تنديده بالغزو الإيطالي لليبيا:

بعد الغزو الإيطالي لليبيا (طرابلس الغرب) سنة 1911م، هب الجزائريون - رغم الستار الحديدي الذي أسدل عليهم من طرف الإدارة الفرنسية- إلى الوقوف إلى جانب إخوانهم الليبيين ومن مظاهر ذلك: شن الصحافة الوطنية حملة واسعة النطاق ضد الغزو الإيطالي.

ولعل من أشهر الصحفيين الذين أولوا اهتماما كبيرا بالقضية الليبية الصحفي "بن قدور" الذي وصف لنا في إحدى مقالاته التي نشرها في جريدة "الحضارة"[1] وقع خبر الغزو الإيطالي على نفسه وعلى بقية الجزائريين قائلا: "..في هذا المساء، وهو مساء اليوم الثاني من عيد الفطر، فاجأنا - بينما كنا نعايد الأصدقاء والأحباب- نبأ عظيم اهتزت له قلوب المسلمين فوقع على أسماعهم كالصاعقة المحرقة، فماجوا فزعا ووجلاً، ذلك النبأ خبر ذهاب الأسطول الإيطالي إلى طرابلس الغرب، يحمل القوة الاحتلالية لنزع تلك الدرة الثمينة من تاج الخلافة الإسلامية..."[2].وفي إطار استنهاض همم المسلمين للوقوف إلى جانب إخوانهم الليبيين، حاول بن قدور تبيين أطماع الغرب الاستعمارية في العالم العربي والإسلامي وفضح أساليبهم ودسائسهم القائمة على ترويج القلاقل والأكاذيب ونشر الفتن بين المسلمين حتى يتسنى لهم السيطرة على جميع أجزائه، ومما قاله في ذلك: "...وتنصب الدسائس على بلاد العرب، وتروج فيها الأكاذيب الأجنبية، وتقوم فيها الفتن في كل ناحية، وتنهك حرمات بيضة الإسلام ويزدري بها أهلها، ويتبرأ منها ذووها، هناك يود كل واحد لو أن رأسه حزَّ عنه نخيل واحة طرابلس الغرب

---

(1)- جريدة الحضارة: أصدرها عبد الحميد الزهراوي بمساعدة شاكر الحنبلي في الأستانة، وفي سنة 1910م استقل بها لوحده،وهي جريدة إصلاحية وسياسية تعبر عن أفكار الزهراوي الرافضة لسيطرة الإتحادين والساخطة على الانحطاط العربي والإسلامي، للمزيد انظر:- محمد راتب الحلاق، عبد الحميد الزهراوي، دراسة في فكره السياسي والاجتماعي، دط، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1990م، ص 74.

(2)- صالح خرفي،"عمر بن قدور رائد الصحافة الوطنية"، مجلة الحياة الثقافية،ع32(عدد خاص بالجزائر) ، تونس 1984 ص 43، نقلا عن: بن قدور،" نبذة عن طرابلس الغرب"، الحضارة، ع 78، 5أكتوبر 1911م.

وبرقة دون أن يعاين هذا المصاب الجلل، ولعذاب الآخرة أكبر، فليتق الله أرباب الأمر في طرابلس الغرب وبرقة إن كانوا يعقلون..."[1].

كما بيّن الموقع الإستراتيجي الذي تحضى به ليبيا في العالم الإسلامي، وما سينجر عن هذا الأخير من ضعف بسقوط ليبيا في يد إيطاليا، حيث قال:"... وهناك مسألة طرابلس الغرب تريد إيطاليا أن تثير عليها صحفها أن تستعد لامتلاكها، ما شاء الله كان، لو تسمح أوروبا لإيطالية أن تمتلك هذه القطعة العثمانية وتمخر بواخرها الحربية إلى ثغورها فمن أي طريق المدافعة عنها والبحر مرصوص بالمنشآت الإيطالية؟ أليس مصر هي الطريق الوحيدة ولكنها أوكلت..."[2]. وحذّر "بن قدور" الدولة العثمانية من التهاون والتراخي في الدفاع عن ممتلكاتها في طرابلس الغرب، مبينا لها ما سيصيبها من ضعف وهوان بعد وقوع الاحتلال فقال: "...وان خذلتم طرابلس الغرب تيقنوا أن لا بقاء لسيادتكم على العالم الإسلامي إلا قليلا..."[3].

وبعد أن وقّعت الدولة العثمانية معاهدة "لوزان" سنة 1912 وتنازلت بموجبها عن ممتلكاتها في طرابلس الغرب، وقف"بن قدور" موقف المتأسف والمتعجب في نفس الوقت من امتثال الدولة العثمانية "للصلح" والإيطاليون لم يتمكنوا من غزو كامل البلاد ويتساءل "بن قدور" عن سبب هذا التخاذل، بعدما أظهره المسلمون من حماسة في الدفاع عن طرابلس الغرب في بداية الغزو، وبيّن أن سبب ذلك: هو الملل، وعدم المثابرة من طرف المسلمين لذلك كانوا فريسة سهلة للاستعمار الغربي، فقال:"...إن الحرب لم تزل في هيأتها، وكيفيتها الابتدائية فلم ينقل القتال من سواحل اليم قط فلماذا سكنت يا ترى تلك الحركة القلمية والفكرية والشعرية والحماسية والاجتماعية والعلمية التي كانت تجول كلما جال الليوث المجاهدون في دار الحرب، كأني أرى أن الإنسان مجبول على الملل، والشرقيين من دون الخلق يسأمون كثيرا من المثابرة على نسق واحد، ولولا مثابرة مجاهدي طرابلس الغرب لقلنا سلام على الشرق والشرقيين إلى الأبد...[4]. واعتبر أن الصلح الذي وقعته الدولة العثمانية مع إيطاليا هو ضعف، ومذلة للدولة العثمانية، وللعالم الإسلامي،

---

(1)- خريف، عمر بن قدور الجزائري، ط1، م.و.ك، الجزائر، 1984م، ص 107.

(2)- نشر ذلك في "الحضارة" وأعاد نشرها في الفاروق ، تحت عنوان:"مصيبة تركيا في عدم الاعتبار"، الفاروق، ع11، 09ماي 1913م.

(3)- الفاروق، ع 12، 16ماي 1913م.

(4)- بن قدور، "ليتقوا الله في طرابلس"، الحضارة، ع132، 17أكتوبر 1912م، نقل وتعليق: خريف، الثقافة، ع 01، مارس 1971، ص ص 82- 86.

فعقده حسب قوله:"...عار، وإمضاؤه بوار، ونتيجته إندعار، وحاصلة وبال واندحار، وكيف لا!؟ والعدو لم يتمكن من شبر خارج منطقة حماية أسطوله..."([1])، وفي نظره أن الصلح مجرد "خدعة الصبي عن اللبن" على حد تعبيره([2]).

والظاهر أن نصيحة "بن قدور" كانت نابعة من تجربته مع الاحتلال الفرنسي الذي يلجأ إلى حيل خسيسة لتحقيق أهدافه الاستعمارية، وهذا ما نلمسه في قوله: "...وأن هذه لنصيحة من مارس الحكم الأجنبي، فالمرجو من المفكرين الذين يأبون الحكم الأجنبي أن يؤيدوها بإثارة نصائحهم قبل أن يتسع الخرق على الراقع، ومنى عليهم السلام([3]).

وقد كان "بن قدور" يتتبع عن كثب أخبار الحرب الدائرة بين الإيطاليين واللبيبين وينشرها في جريدة "الفاروق"([4]) في عمود "الحوادث الخارجية" تحت عنوان "طرابلس الطرابلسيين"، ومما كان ينشره في ذلك:خطب الزعماء اللبيبين الحماسية، مثل خطبة "الشيخ أبو بكر" أحد زعماء السنوسيين، الذي ألقى خطابا حماسياً أمام الليبيين، حاول من خلاله تعبئة الجماهير ضد الاحتلال([5]). وكذلك الانتصارات التي كان يحققها المجاهدون اللبيبين ضد الجيش الإيطالي([6]). ويبدوا أن "بن قدور" كان معجبا ببطولات الليبيين، الذين أظهروا شجاعة كبيرة في التصدي للعدو، في وقت خذلهم فيه العرب والمسلمون، وهذا ما يظهر جليا في قصيدته الشهيرة: "الأسوة الحسنة في حرب طرابلس الغرب" التي نشرها في "الحضارة" وأعاد نشرها في الفاروق تحت عنوان: "فتاة طرابلس الغرب" ومما جاء فيها:

رعى الله قوما في طرابلس الغرب ... تبين فضل الشرق منهم على الغرب
رجال أبو أن يضمحل فخارهم ... أمام العدو النهم في طلب النهب
فأصلوه نار القهر درءا لبغيه ... وأبدوا مزايا الحزم والعزم عن قلب ([7]).

---

(1)- نفسه.

(2)- نفسه.

(3)- نفسه.

(4)- للاطلاع على تعريف الجريدة ونهجها وأهم المواضيع التي تناولتها راجع: - قرين، المرجع السابق، ص ص 73- 74.

(5)- أنظر نص الخطاب في: الفاروق، ع01، 28فيفري 1913.

(6)- الفاروق، ع02، 14مارس 1913م.

(7)- بن قدور، "فتاة طرابلس الغرب"، الفاروق، ع16، 13جوان 1913م.

ومن بين المجاهدين الذين أشاد "بن قدور" ببطولاتهم "سليمان بك الباروني"، الذي زار الجزائر سنة 1914م قصد زيارة ضريح الشيخ "أطفيش"([1]) في وادي ميزاب، وقد التقاه "بن قدور" في الجزائر العاصمة وتحدثا عن بعض شؤون العام الإسلامي، وقال بن قدور:"...أدركت عندها ما تضمه ضلوع الأستاذ سليمان بك الباروني من الغيرة الإسلامية والنعرة القومية، وما يحويه من الهمة العالية والنخوة الوطنية..."([2]).

ب- *بن قدور والقضية المراكشية:*

لقد كان التكالب الاستعماري على مراكش(المغرب الأقصى) الذي انتهى بفرض الحماية الفرنسية على المغرب الأقصى سنة 1912م "من المآسي التي شغلت فكر بن قدور لفترة طويلة"([3]) فكانت أغلب مقالاته التي نشرها في "الحضارة" وأعاد نشر بعضها في "المشير"([4]) التونسية تتناول هذه المأساة، بين من خلالها الأسباب والعوامل التي أدت إلى هذا التكالب.

ففي مقال مطول بعنوان "مراكش بين الفوضى والسياسة"، نجد "بن قدور" قد حلل الأزمة المراكشية تحليلاً دقيقا، حيث أظهر من خلاله أن صراع الأمم وتنازعها أمر طبيعي وسنة كونية، وأنه لا مجال للأمة الضعيفة في هذا الصراع، كما فند دعاوى الاستعمار الأوروبي القائلة: بأنه ما كان الاستعمار إلاّ لتمدين الشعوب المتبربرة، وأنه يحمل رسالة حضارية للشعوب المتخلفة، ومما جاء في مقاله:"...إنا لنعلم جهاد الأمم في هذه الحياة، وأنها تتنازع البقاء في دائرة ضيقة تراكمت فيها وتزاحمت بشدة، فصار القائد في أمة يناصر عن مجدها ويعبث بمجد غيرها ويهد من أركان غيرها ليبني لها... والحالة هذه لرئيس أمة من الأمم

---

(1)- لتعريف محمد أطفيش ودوره في النهضة الجزائرية، انظر: - محمد علي دبوز، نهضة الجزائر وثورتها المباركة ، ج1، ط2، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر 2007م، ص 90.

(2)- الفاروق، ع 56، 12 أفريل 1914م.

(3)- خريف، "عمر بن قدور رائد الصحافة الوطنية"، ص 46.

(4)- جريدة المشير: هي جريدة تونسية صدرت سنة 1911م لصاحبها "الطيب بن عيسى"، كانت منبرا حرا للكتاب تونس والجزائر، توقفت سنة 1912على إثر حوادث الزلاّج، ثم حولها صاحبها إلى " الوزير"سنة 1920م، التي استمرت على نهج " المشير" توقفت سنة 1956م، للمزيد انظر:

- صالح الجابري، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900- 1962، ط2، دار الحكمة للنشر، الجزائر 2007م،ص 81- 86.

العظيمة يقول أنه يعمل لفائدة الإنسانية، ويزعم أنه رسول السلام وناشر الحضارة..."([1]).

ويتساءل "بن قدور" إذا كان هدف الأوروبيين هو نشر الحضارة، والتمدن في هذه الأقطار كما يزعمون "فما هو الفرق بن مراكش والحبشة مثلا؟ حتى أن الأولى كان نصيبها اهتمام أوروبا بنفعها ونشر المدنية كما يقولون فيها وترك هذه الأخيرة في زوايا الإهمال!"([2]). فقد كان جد مستاء من الحالة التي آلت إليها مراكش بعدما كانت حسب قوله: "...مهد المدنية العربية في غضون العصور الوسطى، ومحضر المعارف، وفطاحل رجالها يوم كانت أوروبا في غياهب الظلام..."([3])، غير أنها أصبحت اليوم تحت سلطة مستبدة يمثلها السلطان "عبد الحفيظ" الذي كان يدعي الإصلاح وجعل مراكش للمراكشيين، وأنه سينقل البلد من الحكم "الأوتوقراطي إلى الحكم الديمقراطي"([4])، غير أنه بمجرد وصوله إلى الحكم فتح الباب على مصراعيه أمام التدخلات الأجنبية فحسب "بن قدور"، "فاس لم تمتلئ بالأجانب في أيام أسلافه كأيامه"([5]). كما أن وجوده كان شكليا فقط فمقاليد السلطة الحقيقية كانت في يد الضباط الفرنسيين، وهذا ما زاد من حدة الثورات الهادفة إلى الإطاحة به، وقد شبه الفوضى التي تعيشها مراكش، والغليان الشعبي ضد السلطان "عبد الحفيظ" بالثورة "العرابية"([6]) في مصر ضد الخدوي عميل الإنجليز([7]).

---

(1)- بن قدور، "مراكش بين الفوضى والسياسة"، جريدة المشير التونسية، ع19، 4ماي 1911م.

(2)- نفسه.

(3)- نفس المصدر.

(4)- علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط1، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948م، ص 112.

(5)- بن قدور، "مراكش بين الفوضى والسياسة"، المصدر السابق.

(6)- الثورة العرابية: هي الثورة التي قادها أحمد عرابي سنة 1881م، وكانت تهدف إلى كسر النفوذ الأوروبي خاصة الإنجليزي في مصر، والإطاحة بنظام الخدوي توفيق العميل للإنجليز، وإعادة مصر ولاية عثمانية كسائر الولايات العربية، إلاّ أن الثورة فشلت بعد تدخل الأسطول الانجليزي، فهُزم العرابيون سنة 1882م، ونفي عرابي وبعض زعماء الثورة إلى جزيرة سيلان بالهند، للمزيد راجع:- شكيب أرسلان، تاريخ ابن خلدون، ملخص الجزء الأول، تحقيق محمد علال الفاسي، دط، المكتبة التجارية، فاس، المغرب، 1936م، ص ص 317- 318.

(7)- بن قدور، "مراكش بين الفوضى والسياسة"، نفسه.

أما حاشيته فكان لها السلطة المطلقة في العبث بمصالح الشعب، إضافة إلى ذلك فقد انتشرت الرشوة في أوساطهم بشكل كبير، حيث لا يستطيع القائد أن يصل إلى منصبه، حسب "بن قدور": "...إلا بعد أن يقدم إلى الوزراء صحنه من الأصفر الرَّنان..."(1). كما أن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للبلاد كانت منبعثة نحو الحضيض، فالقبائل التي كانت تشكل منها الأمة المراكشية المتكونة من عرب وبربر "تسكن خياما تحملها عند الاقتضاء، وما كانت الخيام في موطن إلا ودلت على عسر السبيل"(2).

فهذه الظروف في نظر "بن قدور" ساعدت على التدخلات الأجنبية، ففرنسا نتيجة الامتيازات التي تحصلت عليها استطاعت أن تحتل عدة مناطق شرق البلاد "كوجدة، وبني يسناسن وأطرافها" وفي غربها "كالدار البيضاء" و"الشاوية"، وذلك بعد اشتباكات بين المراكشيين والفرنسيين، سالت على إثرها "أودية من دماء الطرفين"(3).

وبعد أن أصبحت مراكش تحت السيطرة الفرنسية، حاول "بن قدور" أن يلفت نظر الإدارة الاستعمارية إلى سياستها في كل من الجزائر وتونس، وما صاحبها من اضطرابات، نتيجة الوعود الكاذبة وسياسة ذر الرماد في الأعين، مستشهدا بسياسة "جونار" الذي قطع عدة وعود على الأهالي الجزائريين، وادعى أنه سيعمل"على فتح القلوب"، " غير أنه – حسب "بن قدور"- "...لم يعمل عملا، يصح منه تشخيص قوله بصورة محسوسة، وإن كانوا يقولون أن المستعمرين منعوه من العمل لخطر يخشونه من وراء ذلك، أراهم يقولون ويصرحون بأنهم مدّنوا وسيمدّنون، وأصلحوا أو سيصلحون، ولم نر من أثر ما يقولون أمرا قائما، يحط من تذمرنا واستيائنا، ويزيد في سرورنا وارتياحنا، هذه مراكش يفكرون فيها، فليعلموا أن مفتاح التفكير فيها مدفون في أعماق قلوب مسلمي الجزائر وتونس، فليعملوا على تناوله ما يستطعون، وإنها لنصيحة إن كانوا يعقلون..."(4).

أما عن أطماع إسبانيا في المنطقة، فيرجعها "بن قدور" إلى مجموعة من الأهداف أهمها: الغاية الدينية، فهي _ في نظره_ "لا تطلب في تلك الأنحاء إلا مد ظل دينها

---

(1)- نفسه.

(2)- نفسه.

(3)- بن قدور، "مراكش بين الفوضى..."، المصدر السابق.

(4)- بن قدور، "مراكش بين الفوضى..."، المصدر السابق.

وملك أقطار الريف الإسلامي لتقيم في أرجائه كنائس لرهبانها ومبشريها"، وكذلك سعيها لامتلاك منطقة شاسعة "تمتد من ضفة واد ملوية إلى تطوان فسبتة"([1]). ومن بين أهدافها الإستراتيجية السيطرة على جزء من "المحيط الغربي" (المحيط الأطلسي)، ويقول "بن قدور":"..ولسوف نراها تعمل لهذه الغاية ما لم تحدث حوادث تعيقها عن العمل..."([2]).

والعوامل التي ساعدت الإسبان على السيطرة على بعض المناطق في الشمال المغربي، رغم هزائمها المتتالية أمام الريفيين، فيرجعها"بن قدور" إلى الخيانة، خاصة خيانة الوزير الذي ذهب إلى "مدريد" من أجل التفاوض للحد من الحرب الدائرة بين الطرفين، إلا أنه خذل أمته، حيث دفع مبلغا من المال، ووضع البلاد في يدهم إلى أجل غير مسمى، وفي ذلك يقول "بن قدور":"... ثم إننا نجد الوزير المغربي لما وصل إلى مدريد يخدم أمته المسكينة خدمة تضحك الثكلى، فرغماً من أن حرب الريف حرب غير شرعية إسبانيا هي المتسببة في إثارتها بسلب الريفيين معادنهم وبلادهم، يصدق الوزير المراكشي على دفع جزية جسيمة من بيت مال المخزن إلى الإسبان وإقرار البلاد في قبضتهم إلى أجل غير مسمى، ثم إنه يرى عمله هذا عملا جليلا خدم به الأمة المراكشية و ينسب ذلك إلى دهائه وحنكته في السياسة، بخ..بخ لقد سعدت مراكش بوزرائها ...."([3]).

ويعتبر "بن قدور" أن ضياع مراكش نكبة أخرى تضاف إلى النكبات التي أصابت العالم الإسلامي، وعلى الأمة الشرقية أن تعتبر من الأزمة المراكشية، وأن تسد كل الأبواب المفضية إلى التدخلات الأجنبية، ومما قاله في ذلك: "...اعتبروا معشر الشرقيين لعلكم تفلحون، أنظروا إلى مصارع الأمم كمراكش، هاهي بعد عظمتها وقوتها وحضارتها، أصبحت في الحشرجة الأخيرة، اتقوا تحككات الأجنبي فإنا أولها رطب لذيذ ومغبتها علقم وصديد ولأوربا الآن اصطلاحات اعتادت أن تغشنا بها، ولعلنا انتبهنا لها، ولكن ماذا يفيد ذلك بعد أن كانت القاضية واقعة لا ريب فيها..."([4]). ومن خلال هذا يبدو أن "بن قدور" كان على

---

(1)- نفسه.

(2)- نفسه.

(3)- نفسه.

(4)- خرفي، "عمر بن قدور رائد الصحافة الوطنية"، ص 48، نقلا عن:بن قدور، "مراكش: المدافع تنذر المراكشيين"، الحضارة، ع59، 25مارس 1911م.

اطلاع بكل ما تحيكه القوى الاستعمارية من مكائد للإيقاع بأقطار العالم العربي الإسلامي، كالتغلغل الاقتصادي، ثم التدخل بحجة حماية مصالحها.

ج- موقفه من حوادث الزّلاّج في تونس:

تعتبر حوادث "الزّلاّج"([1]) من أبرز المحطات التاريخية التي مرت بها الحركة الوطنية التونسية، وذلك نتيجة ما ترتب عن هذه الحوادث، إذ حمّلت السلطات الفرنسية الصحف التونسية مسؤولية الترويج والتعبئة الجماهيرية ضدها، وأقدمت على تعطيل كل الصحف العربية في تونس([2]). كما قامت في 14مارس 1912م بنفي بعض زعماء الحركة الشباب التونسي.

ونتيجة للعلاقة الوطيدة التي ربطت "بن قدور" بالشباب التونسي، وكذا تعلقه بالصحافة التونسية التي كان مراسلا لها، وقف بقلمه ضد هذه الحوادث، خاصة بعد إقدام الإدارة الفرنسية على نفي أقطاب الشبيبة التونسية ويظهر هذا من خلال مقال نشره في جريدة "الحضارة" بعنوان: "أمواج الاغتياظ أو نكبة تونس في أركان نهضتها"، حيث اعتبر "بن قدور" أن هذه الحوادث من أعظم الحوادث والنكبات التي أصابت تونس منذ انتصاب الحماية الفرنسية سنة 1881م، لأنها بتعطيل الصحف، ونفي نخبة المجتمع تكون قد أعاقت مسيرة المشروع النهضوي في تونس، ومما قاله في ذلك: "...وقد لا تحتاج الرعشة التي حدثت في الرأي العام التونسي بسبب هذه النكبة للشرح والبيان، ويكفي أن يشار إلى هذه الحادثة بأنها أعظم ما حصل في عالم حوادث تونس منذ انتصاب الحماية الفرنسوية في ذلك القطر وبصورتها السياسة والأدبية يليق بها أن تلقب بنكبة تونس في أركان

---

(1)- الزّلاّج:هي مقبرة للمسلمين في تونس العاصمة، تسمى "بالزّلاّج" نسبة إلى واقفها(محمد الزلاج القيرواني)، حاولت الإدارة الفرنسية أن تسجلها في دفتر البلدية، لذلك اعتقدت الطبقات الشعبية في تونس أن ذلك سيضفي عليها صبغة الجنسية الفرنسية، فتصدوا للعملية، وحدثت اشتباكات عنيفة بين الجماهير التونسية والشرطة الفرنسية في نوفمبر 1911م، أدت إلى استشهاد بعض التونسيين، وتطورت المعركة في شكل صدام دامي بين التونسيين والأجانب خاصة الإيطاليين نتيجة مساندة التونسيين للطرابلسيين، ومن نتائج المعركة: اعتقلت السلطات الفرنسية الكثير من التونسيين، وعطلت الصحف، ونفت بعض أقطاب الحركة الوطنية التونسية، للمزيد انظر:- الجيلاني الحاج يحيى، محمد المرزوقي، معركة الزّلاّج 11م)، ط3، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2009م، ص 23ومابعدها.

يروي "الطيب بن عيسى" أن الصحف التونسية بقت معطلة لمدة تزيد عن 08سنوات، فلم يفرج عنها إلا في سنة 1920م، انظر: نفسه، ص 50.

(2)- خريف، "عمر بن قدور رائد الصحافة الوطنية"، ص 48، نقلا: الحضارة، ع105، 11أفريل 1911م.

نهضتها..."([1]). ففي مقاله هذا وقف "بن قدور" موقف الدارس لحركة "الشبيبة التونسية" مبينا أسباب وظروف تكونها، وإيديولوجيتها السياسة، حيث اعتبرها امتدادا للحركات المماثلة لها في العالم العربي والإسلامي كحركة "تركيا الفتاة" و"الشبيبة المصرية "و "الشبيبة الجزائرية"([2]). أما عن سبب تكوينها فيرجعها بن قدور إلى: سياسة الاستعمار التعسفية، وانزواء رجال الدين الجامدين الذين يصبحون خدما للاستعمار نتيجة "لما يبذله لهم من زخرف الحياة"، وإلى الفراغ السياسي في الساحة الوطنية، وإلى السياسة التعليمية الاستعمارية التي تساهم في تكوين جيل جديد متشبع بالثقافة الغربية، ولكن سرعان ما يصبح هؤلاء الشبان يناصبون الاستعمار العداء وهم من خرجي مدارسه، متخذين من لغته سلاحا ضده، ومن ثقافته ومدنيته حجة عليه، وهذا ما وضحه "بن قدور" بقوله:"...إذا توطدت سياسة الأجنبي في البلاد كسيادة الغربيين في بلاد الشرقيين، انزوى رجال الدين طبعا إلى ذلك الأجنبي... ولكن بعد هنيهة صغيرة تنشأ طبقة بين ذلك الظلام الحالك ظلام الاستعباد، فتربى تحت رعاية ذلك الأجنبي وكنفه وفي مدارسه وعوض أن تملء في أدمغة تلك الطبقة بحب ذلك الأجنبي المحسن إليها بالتعليم والتهذيب، تصبح شاخصة إلى غاية هي وغاية ذلك الأجنبي في طرفي نقيض، والداعي إلى ذلك سنة الانحطاط والرقي في الأمم، لأنها لا ترضى أبدا أن تتبدل صيغة أمم من الأمم قط، إلا بعد أن تخيب جميع المساعي والأساليب في سبيل الثبات والنجاة...".

ورغم تعارض وتباين أفكار "بن قدور" العربية الإسلامية مع أفكار "الشبيبة" الأوروبية الغربية، إلا أنه كان يرى بأن مصلحة الشعوب فوق اعتبارات التباين الفكري والإيديولوجي ما دام أن الأوربيين يحترزون من الجميع ويعتبرونهم أعداء، وفي ذلك يقول:"...وفي هذا القدر كفاية بما أوردته بمناسبة نكبة تونس _ وإن كانوا يخالفونا في الرأي والنزعة_ فإنهم أمواج مثلنا من أمواج الاغتياظ، نحزن كثيرا لخمودهم، ونعد نكبتهم ضربة على آمال تونس في الارتقاء وإلى الله مصير الأمور..."([3]).

---

(1)- نفسه

(2)- خرفي، نفس المرجع، ص50.

(3)- نفسه.

وإلى جانب اهتمام "بن قدور" بالقضايا الحساسة في المغرب العربي، فإننا نجده كذلك أولى عناية كبيرة بقضايا المشرق العربي والعالم الإسلامي عامة.

2 - قضايا العالم الإسلامي:

أ- نظرته إلى ضعف الدولة العثمانية: لقد عاصر بن قدور كل المشاكل الداخلية والخارجية التي كانت تمر بها الدولة العثمانية في مستهل القرن العشرين، ونتيجة نزعته الإسلامية نجده قد تجاوب مع كل الحوادث التي هزت أركان الدولة من الداخل وأدت إلى التدخلات الأجنبية التي انتهت باقتطاع أجزاء كبيرة من الأملاك الدولة العثمانية، ويظهر تفاعل "بن قدور"مع هذه الحوادث من خلال ما كان ينشره في جريدة "الحضارة" التركية ويعيد نشره في "الفاروق". ففي قصيدة بعنوان: "يا شرق"، يصور لنا "بن قدور" مدى استيائه من الحالة المزرية التي آل إليها الشرق الإسلامي الذي يقصد به الخلافة العثمانية الإسلامية، والتي أدت بدورها إلى ازدياد أطماع الغرب الاستعمارية، ومما جاء فيها:

يا شرق ما لعقول قومك لا تعي نصحا من الماضي إلى المستقبل
صالت عليك مطامع الغرب الذي أرضعته لبن الترقي الأكمل
يا شرقنا إني أعيذك أن ترى متغافلا عنهم فتسقط من عل
عدوك محتضرا ويومئذ رأوا تقسيم ملكك هينا لمؤمل
إني أعيذك أن يسود نفوذهم وتساق حيلتهم عليك فتنطلي([1]).

وفي مقال مطول بعنوان "مصيبة تركيا في عدم الاعتبار" نشره في جريدة الحضارة وأعاد نشره في "الفاروق"، أبدى "بن قدور" حسرته على ما يصيب تركيا من صراعات داخلية، ومؤامرات أجنبية تحاك ضدها فكتب قائلا: "...كل مسلم في هذا الوقت أصبح رهين الغيظ الشديد وأسير الآلام من مصيبة تركيا بل مصيبة الإسلام... يتأسف كثيرون لهذا المصاب الجلل وهذه الضربة القاسية التي وقعت على عرش الخلافة الإسلامية وصيرته بذلك يندك إلى الأسفل... هكذا قلت لتركيا المرات العديدة ووقفت معها عند باب كل مأزق تحاول أن تلجه موقف الناصح الأمين، مثلي ولا فخر في الشرق فئة قليلة وأما الغرب فيعدون على الأصابع..."([2]).

---

(1)- بن قدور، "يا شرق"، الفاروق، ع11، 09ماي 1913م.

(2)- بن قدور، " مصيبة تركيا في عدم الاعتبار"، الفاروق، ع 10، 02ماي 1913م.

وسبب ضعف وانحطاط الدولة العثمانية خاصة والمسلمين عامة يرجعه "بن قدور" إلى عدم اتحاد المسلمين وتناكرهم دون أن يتخذوا العبر من المشاكل التي حدثت نتيجة اختلافهم فقال: "... هذه تركيا مثلا والدول الإسلامية الأخرى اختلفت وتناكرت فما كانت تتذكر ما كان يصيبها من جراء اختلافها ..."([1]).

ويرى بن قدور أن تركيا عقب دستور 1909م([2]) قد حادت عن "جادة الصواب في سياستها الداخلية والخارجية"([3])، فبعد إعلان الدستور ظهرت فئتان متصارعتان، فئة "تهورت في طلب التمدن ومحاباة أوربا (يقصد شباب الإتحاد والترقي)، وطائفة أخرى تحاشت ذلك التهور وحاربتهم (يقصد القوميين العرب). فالاتحاديون يريدون حكومة دستورية قوية قادرة على التصدي للأخطار الأجنبية بشرط أن تكون مقاليد السلطة في يد العنصر التركي، وهذا ما رفضه القوميون العرب وأخذوا يكونون الجمعيات السرية([4]) للانفصال عن الدولة العثمانية، فقد نادت إحدى الجمعيات العربية سنة 1911م: "أن الأتراك هم سبب بؤسنا، إذ أبادوا ثقافتنا، وحالوا دون تقدمنا الاقتصادي وهاهي جميع الأمم التي انفصلت عنهم تباشر حياة قومية نشيطة"([5]).

فاختلاف الطائفتين في نظر بن قدور أدى إلى تلاشي فكرة الجامعة الإسلامية، وأتاح الفرصة للتدخلات الأجنبية، وقال في هذا الصدد:"...فجاء وقت ظهرت فيه جميع مساوئ الطرفين وعللهم، فضعفت عروة الجامعة بصياح كل زعيم من ناحية وقيام كل ناطق في كل جهة وازدراء كل مسيطر من مزاجه،

---

(1)- نفس المصدر.

(2)- دستور 1909م: صدر الدستور العثماني أول مرة في عهد السلطان عبد العزيز(1861- 1876م) سنة 1876م من طرف الوزير مدحت باشا، ويقوم الدستور على "اللاّمركزية" في الحكم، والعمل على تحقيق العدالة بين جميع الشعوب التي تعيش تحت ظل الخلافة العثمانية الإسلامية، غير أنه عطل في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1839- 1909) ليبعث من جديد على إثر الانقلاب الذي قاده حزب تركيا الفتاة ضد السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1908م، للمزيد راجع:- البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798- 1939م، ترجمة:كريم عزقول، دار النهار للنشر، دط، بيروت، دت، ص ص 314- 316.

(3)- بن قدور، نفسه، ع11، 09ماي 1913م.

(4)- من بينها الجمعية"القحطانية" التي تأسست سنة 1908م، "والفتاة" التي تأسست في باريس سنة 1911من طرف طلبة سوريون، و"العهد" التي أسسها عزيز علي المصري سنة 1914م، للمزيد انظر:- حوراني، نفسه، ص 339.

(5)- نفسه.

والاحتلال يدوس النواحي بخيله ورجله، فلم تلبث الأحزاب أن تناكرت والتَهت عن الإصلاح وتوانت عن تدارك الخطر..."([1]).

كما أن صراع الشعوب المتساكنة داخل الخلافة العثمانية الإسلامية أدى حسب "بن قدور" إلى إيقاظ "ضغائن البلقانيين"([2]) الذين أصبحوا يطالبون بالانفصال، وقد وجدوا الدعم من أوروبا التي وقفت معهم "صفا لصف" على حد تعبيره([3]).

لذلك نجد "بن قدور" يقدم النصح للعثمانيين قائلا: "...إني أنهي إليهم(أي العثمانيين) أن يبتعدوا عن مزالق الافتراق وأن يحذروا من حبائل الشقاق ...إنهم إن تهاونوا بالحقوق واتفقوا على العقوق وطووا صحيفة النور ونشروا صحيفة الظلام وقلبوا الدستور وأعادوا دولة الظغام ففئة يرميها الله بمرماه فلا يذر منها باقية ويجعلها حديثا للقوم الآخرين وعبرة للحاضرين..."([4]).

ويرى "بن قدور" أن الاختلاف العرقي واللغوي للشعوب المشكلة للدولة العثمانية يقتضي إيجاد العدالة بين هذه الشعوب، ويقول في ذلك: "...إن الوطن العثماني اكتظت فيه الشعوب وتراكمت فيه الجماعات المتباينة في الغايات، والعدالة تقتضي إيجاد قسطاس مستقيم بين الجميع لإسعادهم دفعة واحدة وتنظيم قوة الحاكمية العامة لإسعادهم ..."([5]).

كما ذكَّر "بن قدور" العثمانيين بالنصائح التي كان يقدمها عبر صفحات جريدة "الحضارة"، غير أن نصائحه لم تؤخذ بعين الاعتبار، منها مقال بعنوان: "التيار السياسي" الذي نشر في "الحضارة العدد103، 9ربيع الثاني 1339هـ"([6]) بيّن لهم فيه مدى خطورة التقاعس عن الدفاع عن "طرابلس الغرب"، وفي مقال آخر في "الحضارة صدر يوم 15جمادي الأولى 1339هـ"([7])، بين لهم فيه ما آلت إليه

---

(1)- بن قدور، "مصيبة تركيا..."، الفاروق، ع11، 09ماي 1913م.

(2)- نفسه.

(3)- نفسه.

(4)- نفس المصدر.

(5)- نفسه، ع12، 16ماي 1913م.

(6)- نفسه.

(7)- نفسه.

مراكش نتيجة الفوضى والصراع الداخلي الذي انتهى بإخضاع الكثير من مناطقها للسيطرة الفرنسية والإسبانية([1]).

ومما وضّحه كذلك هو أن غاية أوربا من حفظ كيان الدولة العثمانية ليس حبا فيها وإنما حفاظا على مبدأ التوازن الدولي، ودليل ذلك - في نظره – "أنها ترضى إذا قيل لها يجب أن تتجزأ بلاد العثمانيين على سكانها المسيحيين كما جزئ طرف منها بفضل معاهدة برلين([2])، ونجدها لا ترضى إذا رام أحد أعدائها كالنمسا مثلا أن يلتهم طرفا مما يليه من الأملاك العثمانية"([3]).

ومن بين أهم أسباب ضعف الدولة العثمانية في نظر "بن قدور" هو الخطر اليهودي، ففي مقال بعنوان: "بين الشدة واللين بأيهما نعمل"، تعرض لمختلف دسائس اليهود التي كانت من وراء المصائب التي وقعت على العالم الإسلامي، مستدلا في ذلك بشواهد تاريخية من بينها زوال "الأندلس" بسبب دسائسهم ومكرهم ويستغرب "بن قدور" من عدم اعتبار المسلمين من ذلك، وعدم التزامهم بما ورد في القرآن الكريم الذي حذر من مكر اليهود، ويفسر "بن قدور" أن سبب ضعف الدولة العثمانية يرجع بالدرجة الأولى إلى تسرب عناصر من اليهود داخل الدولة العثمانية الذين عملوا على إثارة البلبلة والتحريض ضد السلطان العثماني "عبد الحميد الثاني"(1876- 1909م)، ومما قاله "بن قدور" عن اليهود: "...إننا معشر المسلمين لم نقع في مصائد التهلكة الحالية إلا بمساعي اليهود أعدائنا بصريح القرآن، لقد اختلسوا منا ثروتنا لأنهم يبغضوننا، ومهما تحركوا أو سكنوا إلا وأضروا بمسلم أو بمسلمين...ويا للعجب فإن التاريخ يتلوا علينا الآيات البيّنات ويحذرنا من دسائس اليهود ذلك العدو الألد، وعلماؤنا وجهالنا وصناعنا وتجارونا يعاملوه بالإحسان...إن هذه تركيا التي مثلت مجد الإسلام بعد دولة الخلفاء الراشدين، ودولة الشرق العظمى ما ضعفت وذهب شأنها إلا لما سلمت أمورها إلى دهات من اليهود أو من أنجالهم أو خلفائهم مثل (مدحت)([4])الذي أعلن

---

(1)- نفسه.

(2)- يقصد به مؤتمر برلين الأول الذي عقدته الدول الأوروبية سنة 1778م من أجل تقسيم أملاك الدولة العثمانية، التي أصبح يطلق عليها اسم (الرجل المريض)، ومن أهم قراراته المعلنة اعتراف الدول الأوروبية الكبرى بوطنية شعوب البلقان، للمزيد انظر:- سعد الله، شعوب وقوميات، ص 164.

(3)- نفسه.

(4)- هو واضع الدستور العثماني الوزير مدحت باشا.

حرب 1878 التي أعقبها اضمحلال تركيا، (وحقي)[1] الذي باع طرابلس لإيطاليا. وهذا (جاويد)[2] الذي ملأ جيبه من ذهب الأمة الإسلامية المسكينة، و(كامل)[3] وطلعت، وآخر وآخر..."[4].

فكان "بن قدور" يرى أن كل ما أصاب المسلمين يرجع إلى اليهود، ويبدو أن موقفه نابع من معاناته وبقية الجزائريين من دسائس اليهود الذين حمّلوا مسؤولية الحملة الفرنسية على الجزائر، وكذا سيطرتهم على منابع الثروة إلى جانب المعمرين خاصة بعدما تمكنوا من الحصول على الجنسية الفرنسية بموجب قانون "كريميو" سنة 1871م . وهذا ما يفسر نوعا ما مبالغة "بن قدور" لما قال: "... إن الذين يحاربون المستعمرين في بلادنا قد أخطأوا مهما كان لهم الحق، وذلك لأنهم حاربوا أقرب الناس إلينا بنص القرآن وان صحت دعواهم بأن المستعمرين أضروا بنا فليس ثم من يغريهم بنا إلا الشعب المستحوذ على مفاتيح الاقتصاد والثروة في بلادنا وفي بلاد الغير وهو شعب إسرائيل..."[5].

ومن أسباب ضعف الدولة العثمانية في نظر "بن قدور" كذلك الحركات القومية الانفصالية، والحروب الخارجية التي كانت تخوضها الدولة العثمانية ضد الدول الأوروبية خاصة روسيا. ومن بين الأزمات التي كان "بن قدور" يتتبع أحداثها الأزمة البلقانية.

ب- موقفه من حرب البلقان: لقد عرفت الدولة العثمانية في أواخر عهد السلطان "عبد العزيز" (1861- 1871م) مشاكل خطيرة أهمها "الحرب البلقانية" حيث أعلنت كل من "الهرسك والسرب والبلغار" الثورة بهدف الانفصال عن الدولة العثمانية، ورغم أن العثمانيين قد أرسلوا جيشا بقيادة "عثمان باشا" الذي حقق انتصارات كبيرة على الثائرين، إلا أن هذه الانتصارات لم تدم طويلا خاصة في عهد السلطان "عبد الحميد الثاني"، وذلك بعد ما أعلنت روسيا الحرب ضد الدولة

---

(1)- حقي كامل باشا: كان سفير تركيا في روما ثم عين رئيسا للوزراء عهد الحكومة الدستورية الجديدة (1863- 1918م)، وقد كانت تربطه صداقة شخصية مع إيطاليا لذلك أتهم في التواطؤ معها أثناء احتلالها لليبيا، انظر: - خريف، "صحافتنا والصهيونية"، الثقافة، ع01، مارس 1971، ص 119.

(2)- هو من أبرز أعضاء جمعية الإتحاد والترقي وقد كان وزيرا للمالية، انظر: - نفسه، ص 120.

(3)- ترأس الوزارة التركية بعد إعلان الدستور غير أنه لم يلبث فيها أكثر من شهر، انظر:- نفسه.

(4)- بن قدور، "بين الشدة واللين بأيهما نعمل"، الفاروق، ع02، 07مارس 1913م.

(5) – بن قدور، "بين الشدة واللين..."، المصدر السابق.

العثمانية، باعتبار أن روسيا كانت ترى نفسها مرجعا ووريثا شرعيا للأمم "السلافية" سيما "الأرتدوكسية"منها([1]).

وقد كانت هذه الحرب التي استمرت إلى غاية 1914م وبالا عظيما على الدولة العثمانية نتيجة اختلال موازين القوى ونتيجة تشعب المشاكل العثمانية في الداخل والخارج، إضافة إلى عوامل أخرى قد يطول بنا الحديث إن حاولنا تفصيلها، فما يهمنا هو موقف بن قدور منها.

فقد اهتم "بن قدور" بهذه الحرب منذ أن كان مراسلا لجريدة "الحضارة" في الأستانة، حيث اعتبرها هزة كبيرة أصابت عرش الخلافة العثمانية الإسلامية، وأنها نتيجة حتمية لضعف الدولة وصراعاتها الداخلية، خاصة بين العرب والأتراك، فذلك أيقظ الشعور القومي لدى البلقانيين وأصبحوا ينادون بالانفصال([2]).

كما أن اختلال موازين القوى بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي جعل هذا الأخير يسعى إلى تجريد الدولة العثمانية من ممتلكاتها، خاصة في شرق أوروبا، وهذا ما نلمسه في قوله: "... إن فضيلة الغاية والجبروت هي الهيمنة على كل ما يقع في عالم السياسة، وإنما هي المظاهر التي تختلف معها الاصطلاحات والتعابير، ولما كانت الدولة العثمانية ضعيفة الحول أوجدوا أمامها سدا دون التشبث بأسباب الفضيلة، ومن ثم جرّدوها من حق السيطرة على الشعوب المسيحية بدعوى أن حكم الإسلام خطر..."([3]).

ويتأسف "بن قدور" لضياع ممتلكات الدولة العثمانية في شرق أوروبا، ويعتبر أنه إلى جانب الضعف والتهاون في حفظ حدود الدولة هناك سبب آخر وهو حزب "تركيا الفتاة" الذي بالغ في محاكاة أوربا وتبني نظُمها وأفكارها خاصة الأفكار القومية، التي أدت بالشعوب المشكّلة للدولة العثمانية بالمطالبة بالاستقلال، وفي ذلك يقول: "... لقد كان العثمانيون في البلقان أصحاب الأريكة والعرش، وقد كان الضعف من كثرة تهاونهم وتعدد هفواتهم يجذبهم نحو الحضيض، فلم تلبث نخبة من فتيتهم أن هامت بالقوة شغفاً وراحت تكشف عن ساقها، وخيل لها أن الغرب سيبتهج لما تبديه وينشرح لما تحويه...فامتلكت تلك

---

(1)- أرسلان، المصدر السابق، ص 312.

(2)- الفاروق، ع11، 09 ماي 1913م.

(3)- بن قدور، "التصادم السياسي"، الفاروق، ع21، 18جويلية 1913م.

النخبة أزمة الأمور، فخلعت وبايعت..."([1])، لذلك وجد الغرب "أركان الشرق واهية"([2])، فعمل جاهدا على انهاء التواجد العثماني في المنطقة، هذا بعدما "احتمت مذاهب السياسة القومية في البلقان، فتصادمت وأحدثت شراراً"([3]).

ويعتبر "بن قدور" أن من أعظم النتائج الوخيمة لهذه الحرب، هو وقوف الدول الأوروبية على هاوية الحرب، نتيجة تضارب مصالحها في منطقة البلقان، حيث قال: "...إن ذلك التصادم الذي حصل في البلقان بين المذاهب السياسية الغربية، لم يلحق الضرر بتركيا فقط، بل هدد العالم المتمدن بأسره بالبوار والخسران..."([4]).

ونتيجة لما تكتسيه هذه الحرب من أهمية فإن "بن قدور" كان حريصا على تتتبع مجرياتها وحوادثها من خلال ما يكتب عنها في مختلف الجرائد، ويعيد نشره في جريدة "الفاروق" تحت عنوان:"الحرب البلقانية نقلا عن الصحف المشرقية".

ولمدة أربعة أشهر كاملة كان يزين جبين فاروقه ببيت شعري، يبين من خلاله موقفه من الحرب البلقانية إلى أن شكل قصيدة طويلة بعنوان "حرب البلقان"، وأهم ما جاء فيها هو اعتباره بأن منطقة البلقان إرث ثقافي وحضاري للمسلمين، وأن مسؤولية ضياعه تقع على عاتق المسلمين الذين تهاونوا في حفظه، وفتحوا الباب أمام القوى الأجنبية للتدخل في شؤون المنطقة، وهذا ما نلمسه في قوله:

قد أضرم البلقان حربا إنه لتراث قوم أهملوه وماتوا
أحواله تعني ذويه وإنما أحوالنا رزء ونحن جناة([5]).

كما أن ابتعاد المسلمين عن تعاليم الإسلام الصحيحة والأخلاق الحميدة، ومجافاتهم للعلوم وتفرقهم وتناكرهم كان من أهم أسباب طرد العثمانيين من شرق أوروبا، وهذا ما وضّحه في الأبيات الشعرية:

منهم لسوء فعالهم يتبرأ ال قرآن والإنجيل والتوراة([6])
وغدا الجهول يسودهم ولغيهم زعماء سوء للضلال حماة([7])

---

(1)- بن قدور، " مسالك الأمم ومزالقها"، الفاروق،ع22، 25جويلية 1913م.
(2)- نفسه.
(3)- نفسه.
(4)- نفسه.
(5)- الفاروق، ع 20، 11جويلية 1913م.
(6)- الفاروق، ع30، 19سبتمبر 1913م.
(7)- الفاروق، ع31، 26سبتمبر1913م.

إن والتناكر صدهم فتأخروا تعلوهم الويلات والحسرات([1]).

لذلك يدعو "بن قدور" إلى ضرورة الإلمام بالتطورات السياسية، وإدراك ما يتحكم في العلاقات الدولية ومدى انعكاساتها على العالم الإسلامي، الذي يجب عليه أن يتخذ بعوامل القوة، لأن لا مجال للضعيف أمام تنازع الأمم، والقوة في نظر "بن قدور" تتأتى للمسلمين إلاّ بالابتعاد عن "الغرور والانشغال بإصلاح حالتهم الدينية والأدبية والاقتصادية"([2]).

ومن عوامل القوة في نظر "بن قدور" الوحدة والتضامن الإسلامي، وهذا ما يظهر في نظرته الوحدوية التي ميزت أغلب كتاباته، ففيما يتجسد ذلك يا ترى؟.

3- البعد الوحدوي في فكر بن قدور:

أ- الدعوة إلى تأسيس جامعة الصحافة الإسلامية:

يعتقد "بن قدور أن العمل الصحفي الفردي محكوم عليه بالفشل، وأن الصحافة لن تؤدي واجبها المنوط بها ما دامت تحلق فوق المشاكل الحقيقية للمسلمين "بالمقالات الضافية والفصول الاستطلاعية الفائضة، والقصائد الشعرية الرنانة"([3])غير الهادفة.

لذلك دعا من خلال مقال نشره في جريدة "الحضارة" بعنوان "إلى حملة الأقلام أرباب الصحف الإسلامية" إلى ضرورة ترشيد العمل الصحفي وتنظيمه، كما دعا صراحة إلى إتحاد جميع الصحفيين المسلمين في "نقابة" سماها "جامعة الصحافة الإسلامية" موضحا ذلك بقوله: "...أدعوكم معشر الرصفاء إلى الإتحاد ولكن عملا لا قولا، فتعالوا نمكن من قلوبنا تأثيرات الإتحاد الذي يأمرنا به الإسلام...فنتواطأ على تشكيل (جامعة الصحافة الإسلامية) تكون لها نقابة ومجلس ورئيس وصندوق ... وتعقد مؤتمرا سنويا في رأس كل سنة في عاصمة من العواصم الإسلامية تفهم منه الأمة المحمدية أعمالنا، وأن أعمالنا لا تقف عند حدود القلم والورق فقط..."([4]).

---

(1)- الفاروق، ع 33 ،24أكتوبر 1913م.

(2)- بن قدور، "مصيبة تركيا..."، الفاروق، ع11، 09ماي 1913م.

(3)- خرفي، عمر بن قدور الجزائري، ص 120.

(4)- نفسه.

كما دعا إلى ضرورة تناسي الاختلافات السياسية، والتوجهات الإيديولوجية بين الصحفيين،لأن مصلحة المسلمين فوق كل الاعتبارات، "وأن الأخوة الإسلامية يجب أن تكون فوق الاختلافات السياسية..."([1]).

ولم تقتصر دعوته على الصحف العربية فقط، وإنما شملت حتى الصحف الناطقة باللغات الأجنبية، شريطة أن يكون صاحبها مسلما يخدم الأمة الإسلامية، وفي ذلك يقول: "...ولا يصح لنا أن نفتكر على هذا العمل الخطير في القوميات الجنسية واللغوية، فلا بأس إذا انخرط في سلك جامعة الصحافة الإسلامية عدا الصحف التي تصدر باللغات الشرقية الجرائد التي تصدر باللغات الإفرنجية، وهي ملك لرجال مسلمين، لأن الصبغة المحمدية هي المطلوبة في هذا الباب ... ولا مدخل لأي جريدة أخرى ولو كانت تصدر بلغة القرآن..."([2]).

والظاهر أن هدف "بن قدور" من هذه "الجامعة" هو نقل المشروع النهضوي من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي، وتجسيد دعوة "الأفغاني"و"عبده" على أرض الواقع، فاتحاد الصحافة الإسلامية يشكل الخطوة الأولى لإتحاد المسلمين. وكذلك توحيد الرؤى والخطط الإصلاحية نحو مشروع نهضوي شامل خاصة وأنه يرى بأن الصحافة هي مصدر كل نهضة، وإلى جانب ذلك يتضح لنا من خلال اشتراطه لأن يكون لهذه "النقابة" بيت مال أنه كان يسعى إلى تخطي العجز المالي الذي احتجبت بسببه الكثير من الجرائد.

غير أن دعوته لم تجد آذانا صاغية، وكانت عبارة عن صرخة في واد، فبقيت الصحف العربية في القطر الواحد تعاني التشرذم، لا جامع بينها إلا اللغة العربية، وهذا ما سهل على الإدارة الاستعمارية مراقبتها وتضييق الخناق عليها.كما أنها لم تتخلص من عجزها المالي، خاصة أمام إعراض الناس عنها، لذلك نجد "بن قدور" يدعو القراء إلى الاشتراك في "الفاروق" حتى تضمن استمراريتها، قائلا: "... إني لم أطلب ثمنا باهظاً مقابل إفادتك كل أسبوع بعدد، بل طلبت منك ستة فرنكات كل عام... تذكر أني لم أطلب منك هذه القيمة إلا أجرة خمسين نسخة من

---

(1)- نفسه.

(2)- نفسه.

(الفاروق) كل نسخة لا يتيسر لي إبرازها إلا بعد عناء شديد، ومشقة عظيمة تفكيراً وتحريراً وتصفيفاً وترتيباً وطبعاً...."([1]).

ب- نحو تأسيس جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا:

بعد إخضاع أقطار المغرب العربي تحت السيطرة الاستعمارية، تولدت لدى النخبة المغاربية خاصة المتأثرة بفكرة "الجامعة الإسلامية"([2]) الحاجة الماسة لتكوين جبهة مغاربية واحدة قادرة على التصدي للاستعمار.

وقد بدأت الاتصالات بين الشباب التونسي والجزائري منذ سنة 1911م، لتشمل شبان المغرب فيما بعد، وذلك بهدف تكوين "مؤتمر إسلامي" كبير لشمال إفريقيا" تؤسس من خلاله "أمة شمال إفريقيا"([3]).

وإن كانت هذه الاتصالات قد تمت في المهجر (أوروبا أو المشرق) وفي سرية تامة فإننا في الجزائر فمنذ بداية القرن العشرين نجد من كان ينادي صراحة بضرورة تحقيق الوحدة المغاربية.

ويعد "بن قدور" من الأوائل المبادرين بالدعوة إلى هذه الوحدة، ويظهر هذا من خلال اتصالاته الدائمة بالشباب التونسي عن طريق المراسلات الصحفية. وما ينّم عن نزعته الوحدوية هو اهتمامه وتفاعله مع أغلب القضايا المغاربية، وكذا جعله لجريدة الفاروق منبرا للكتاب التونسيين الذين عطلت جرائدهم على إثر حوادث "الزّلاج"، ومن بين الكتاب التونسيين الذين كتبوا في "الفاروق" نذكر: "الطيب بن عيسى"، "حسين الجزيري" "صالح بن علي النجار"، "الصادق الرزقي" و " إبراهيم بن شعبان". وقد كان التونسيون يسعون للحصول على صفحات "الفاروق" بلهف شديد نتيجة الفراغ الذي تركه تعطيل الصحف الوطنية التونسية([4]).

إضافة إلى هذا فقد دعا "بن قدور" في أواخر جوان 1914م صراحة إلى تأسيس وحدة مغاربية أطلق عليها: "جماعة التعارف الإسلامي"، وسمى ذلك "بالمشروع العظيم"، ففي مقال نشره في الفاروق وجه سؤالاً إلى علماء ومفكري المغرب العربي قائلاً: "... هل في الإمكان تأليف جماعة من مفكري مسلمي الجزائر

---

(1)- بن قدور ، "هل أنت قارئ ؟"، الفاروق، ع 83، 23أكتوبر 1914. (وقع مقالته هذه باسمه المستعار: الأصلع)

(2)- بالقاسمي بوعلام، "البعد المغاربي في إيديولوجيات الحركة الوطنية الجزائرية 1911م- 1937م"، المصادر، ع07، نوفمبر 2002، ص 121.

(3)- نفسه، ص 24.

(4)- محمدصالح الجابري، النشاط العلمي والفكري ....،ص 183.

وتونس والمغرب الأقصى تدعى (جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا)؟..."([1]).

لقد كانت دعوة "بن قدور" نابعة من إحساسه بأن هنالك حركة فكرية وثقافية في أقطار المغرب العربي، تسعى إلى النهوض بأهالي هذه المنطقة، لذلك أراد أن تتوج هذه الحركة برابطة تجمع بين علماء ومفكري شمال إفريقيا، وفي هذا الصدد كتب قائلاً: ".... لقد شعرنا بإحساس شريف يجري بين المفكرين في هذه الأمة الإسلامية، في غضون ما تنفثه صدورهم وتخطه أقلامهم، وتبديه آراؤهم، ولذلك رأينا أن نهذب هذا الإحساس ونزيده طموحا وتشبثا بالنمو، وينصب هذا المشروع العظيم أمام أعين إخواننا المفكرين ليجعلوه قبلة آمالهم ووجهة أغراضهم في أعمالهم، ومحط غاياتهم ومقاصدهم، فليبذلوا إذا كل نفيس لإعلاء وتنمية شأن التعارف بينهم... وإننا ننتظر جواب كل فرد منهم على السؤال المرسوم أعلاه، ليتسنى له أن نسجله في دفتر التعارف..."([2]).

وفي نظر "بن قدور" أن ما يفرض حتمية الائتلاف والتعارف هو: "الجهل والانحطاط و التكاسل والتخاذل" وكذلك السياسة الاستعمارية التي تكاد أن تقضي على الشخصية الإسلامية في هذه الأقطار، فمن هنا يقول:"بن قدور" : "...يبدأ التشوق نحو العمل... والعمل يكون بالتعارف قبل كل شيء، وهذا ليؤلفوا قوة أخلاقية إصلاحية ترفع الأمة وتنفخ فيها روح الحياة، وتبث فيها جراثيم النهوض والنمو..."([3]).

بعد ما بيّن "بن قدور" أهمية التعارف والائتلاف، موضحا أن فكرته منبعثة "من أعمق آيات الذكر الحكيم"([4])، لذلك يتعين "على المفكرين الذين تطالبهم الظروف الجهادية الحاضرة بتأدية الواجب المفروض عليهم نحو التعارف"([5]).

لقد كان لدعوة "بن قدور" صدى كبير في أوساط المثقفين، خاصة المثقفين التونسيين، فبمجرد إعلانه للمشروع بادر "حسين الجزيري" إلى تبني الفكرة، حيث نشر في "الفاروق" مقالاً بعنوان: "التفرق داء والالتئام دواء"، بين فيه أهمية التعارف والاتحاد، كما ذكر العوامل التي أدت إلى تلاشي فكرة "الجامعة

---

(1)- بن قدور، "مشروع عظيم"، الفاروق، ع66، 22جوان 1914م.

(2)- نفسه.

(3)- نفسه، ع 68، 06جويلية 1914م.

(4)- نفسه، ع 69، 12 جويلية 1914م.

(5)- نفسه.

الإسلامية" ومن بينها إعراض المفكرين عنها، فجاءت دعوة بن قدور امتدادا لما بذله المصلحون الأوائل من جهود في سبيل الوحدة الإسلامية، أمثال "الأفغاني" و"عبده" و "رشيد رضا" ومما قاله "الجزيري": "...قام اليوم غيور الإسلام صاحب الفاروق يدعو إلى تكوين جماعة التعارف الإسلامي الجزائرية التونسية المغربية، فهل نرى لدعوته من تأثير على الأفكار وتحريك العقول؟ ... وهو مشروع لو يبرز من حيز القوة إلى الفعل لكنت أنا الضمين بسعي السعادة لمسلمي شمال إفريقيا والتحاقهم فيمن أدركوا كيف يكون تركيب الدواء..."([1])، وفي الأخير تمنى "الجزيري" أن تلقى دعوة "بن قدور" آذانا صاغية من طرف مفكري شمال إفريقيا([2]).

لم يكتف "الجزيري" بتأييد المشروع فقط، بل سارع إلى الانضمام إلى قائمة جماعة التعارف الإسلامي فقام بتقديم صورته إلى "الفاروق" لتنشرها على صفحاتها، وقال: "... ها أنا أقدم لكم يدي وأصادقكم على خدمة المّلة والوطن، وأعمل لصالح الإسلام والمسلمين حتى آخر نسمة من الحياة..."([3]).

أما من بين المثقفين الجزائريين الذين ساندوا المشروع، نجد المصلح "أبو اليقظان" (إبراهيم الحاج عيسى)، حيث راسل "الفاروق" من تونس ونشر بها مقالا بعنوان: "حول المشروع العظيم"، أثنى فيه على صاحب "الفاروق" الذي جاء بدواء من "حيز العدم إلى حيز الوجود" حسب تعبيره، وكيف لا يقول "أبو اليقظان":"...وبه يذهب زمن التنافر والتباغض والتحاسد والتناكر...وبه ترتبط القلوب المتباعدة بالأسلاك الردارية المتينة التي باشر بناء أعمدتها بحزم وعزم ذلك الرجل صاحب الفاروق..."([4]).

كما حث العلماء والمفكرين للالتفاف حول المشروع الوحدوي الذي نادي به "بن قدور" قائلاً: "... المأمول من أرباب الهمم العالية والمدارك السامية تأييد هذا المشروع العظيم ومقارنة حسن القول بحسن الفعل والمثابرة لإنجاز كل ما تتداوله تلك الكلمة الجامعة والعنوان الشامل لسعادة الدارين..."([5]).

---

(1)- حسين الجزيري، "التفرق داء والالتئام دواء"، الفاروق، ع 69، 12جويلية 1914م.

(2)- نفسه.

(3)- بن عدة عبد المجيد، "من رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر عمر بن قدور الجزائري 1886-1932"، مجلة المبرز، ع6،المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، 1995م، ص 91.

(4)- إبراهيم الحاج عيسى القراري، حول المشروع العظيم"، الفاروق، ع74، 21أوت 1920م.

(5)- نفس المصدر.

ورغم ما يكتسي التعارف من أهمية عند "بن قدور"ورغم القبول الذي لاقته دعوته خاصة أوساط المثقفين التونسيين، إلا أنه كان يرى من الصعوبة بمكان تجسيد هذا المشروع على أرض الواقع، نتيجة نقص المفكرين العاملين على النهوض بالأمة، فأصبحوا حسب "بن قدور" "يعدون على الأصابع"([1]) ونتيجة تصادم أفكار العلماء حول هذا المشروع، ففي ظل هذه المشاكل والصعوبات تعين على صاحب الفاروق إيضاح فكرة "جماعة التعارف الإسلامي"، وذلك بعد أن بين له أحد المفكرين "الموثوق بنمو مداركهم"([2]) "أن نجاح المشروع العظيم موقوف على تخصصه بالوسط الجزائري، فلا يتعداه إلى التخوم الشرقية أو الغربية"([3]). ورأي هذا المفكر يستند إلى "المحيط السياسي"وإلى أوضاع كل قطر من أقطار شمال إفريقيا([4]).

لقد اعتبر "بن قدور" أن مستند هذا المفكر "وجيه جداً"، لذلك لم يمانع في أن يشكل كل قطر جماعة التعارف الخاصة به، حيث قال: "... وقد لا تتناقض هذه المأمورية نزوع كل قطر من هذه الأقطار الثلاث إلى الاستقلال في تشكيل جماعة التعارف الإسلامي كل يعمل في حيزه المخصوص به بما يتوافق وحالته العلمية والاقتصادية والسياسية..."([5]).

لكن "بن قدور" لم يستطع التنازل عن دعوته "فمأمورية الفاروق في إيجاد هذا المشروع فإنها عامة لأن له من القراء في تونس ومراكش ما يعادل قراءه في الجزائر"([6])، فيرى "بن قدور" أنه مهما اختلفت الأميال لا يمكن"للفاروق" أن يتراجع عن مبادئه "التي عليها مدار شيوعه وانتشاره وثباته في خدمة أمّة شمال إفريقيا الإسلامية"([7]).

غير أن ظروف الحرب العالمية الأولى أثرت سلبا على "بن قدور" وعلى مشروعه الوحدوي خاصة بعدما عطلت جريدته "الفاروق".لكن يبدو أن مشروعه شكل

---

(1)- الفاروق، ع 69، 12، جويلية 1914م.

(2)- نفسه.

(3)- نفسه.

(4)- نفسه.

(5)- نفس المصدر.

(6)- نفسه.

(7)- نفسه.

الأرضية الخصبة للحركة الإصلاحية الجزائرية فيما بعد التي جسدت أفكاره بإنشاء "جمعية العلماء المسلمين"سنة 1931م.

كما كانت أفكاره الوحدوية التي نادى بها في وقت مبكر إطارا مرجعيا للتطلعات الوحدوية الجماهيرية التي برزت أكثر بعد الحرب العالمية الأولى، سواء تعلق الأمر بالوحدة الوطنية داخل القطر الواحد، أم بوحدة المغرب العربي أم بالوحدة العربية، أم بالوحدة الإسلامية.

ج - بن قدور وفكرة الوحدة الإسلامية:

إن المستقرئ لكتابات "بن قدور" سواء في الصحافة العربية أو في الصحافة الجزائرية، يستشف مدى تعلقه بفكرة "الجامعة الإسلامية" التي دعا إليها "الأفغاني" و"عبده"، فرغم إنكاره للصفة التي حاولت أن تلصقها به جريدة "الإسلام" التي عدّته "متعصبا ومن أشياع الجامعة الإسلامية" في الجزائر([1])، إلاّ أن كتاباته واهتماماته بقضايا العالم الإسلامي تدل على تجذُّر هذه النزعة في فكره، فقد جعلها "بن قدور" إحدى المبادئ التي تقوم عليه جريدته "الفاروق"، وهذا ما أكده في افتتاحية السنة الثانية للجريدة، حيث قال: "...هي المبدأ الخامس من مبادئ الجريدة وأعني بها قضية الوحدة الإسلامية أي وحدة الإحساسات الروحية التي تربط ثلاثمائة مليون نسمة يتمسكون بمبدأ القومية ويتوجهون إلى قبلة واحدة في صلاتهم..."([2]).

فيرى "بن قدور" أن الإتحاد واجب، ووجوبه لا يختلف فيه اثنان، خاصة في زمن التكالب الأوروبي الاستعماري على العالم الإسلامي، وفي اعتقاده كذلك الإتحاد يمكن المسلمين من الرقي والنهوض، ويجعلهم قادرين على التصدي للعدو ومطاردته، حيث قال: "... إن نتيجة الإتحاد خاصة وعامة فأما الخاصة فمنها منفعة عظمى وسعادة فضلى توصل إلى نيل المبتغى مهما كان صعبا عسيرا وأما النتيجة العامة فأقل خواصها أن يكون كل فرد من الشعب آخذ بيد صاحبه ومعاونا له على مطاردة العدو فكأن الشعب بنيان مرصوص وبهذا وذاك يسهل على الأمة التي تتصف بالإتحاد الوصول إلى ميدان السعادة في حين يضل عنه غيرها..."([3]).

---

(1)- ردّ "بن قدور" على هذه التهمة بأن هدفه إصلاحي، ولا ينتمي في نشاطه لأي حزب، انظر:- بن قدور، "نحن والأفاكون"، الفاروق، ع 13، 13ماي 1913م.

(2)- بن قدور، "الفاروق بعد حول"، الفاروق، ع 51، 16مارس 1914م.

(3)- بن قدور، "الشعور الإسلامي في الجزائر"، المصدر السابق.

وفي نظر "بن قدور" أنه لما كان المسلمون متحدين كان بأسهم شديد، ولكن نتيجة الجهل، ونتيجة السياسة الاستعمارية في العالم الإسلامي تلاشت هذة الرابطة، فقال: "...إن الجهل قد قضى قبل أن تقضي السياسة...فلما جاءت السياسة الغربية أيدت هذا الحكم واستعملته أداة لنيل أغراضها، فانبث الشقاق بين الأقوام الإسلامية..."(1). وما من سبيل لخروج العالم الإسلامي من دائرة الانحطاط حسبه إلاّ "بتوحيد إحساساتهم ومناسباتهم الدينية"(2).

لقد بين "بن قدور" أن هذه الأفكار والتشوفات الوحدوية "تفزع أوربا وتعتبرها تشوفات عدوانية ضدها"(3)، لذلك حاول أن يشير إلى أنها "تشوفات أساسية للتمدن والعمران"، واعتبر أن الوحدة الإسلامية "كالوحدة المسيحية مضمونها تضامن الإحساسات الملّية والقومية وليس في هذه الإحساسات خطر على المدنية العصرية كما يتوهم رجال الغرب، ولبلوغ هذه الغاية سيعتني (الفاروق) بكل ما يمس بالشعوب الإسلامية وينشره تحت هذا العنوان (العالم الإسلامي)"(4).

فمن خلال هذا يتبين لنا أن "بن قدور" كان يدرك بأن الإدارة الفرنسية كانت تنظر إلى "الجامعة الإسلامية" بأنها توجه سياسي يهدد أمنها ويحرض ضدها، لذلك نجده يتحاشى استعمال مصطلح "الجامعة الإسلامية"ويستعمل عدة مصطلحات لها نفس الدلالة مثل: "الوحدة الإسلامية" و"القومية الإسلامية" أو "الرابطة الإسلامية".

وقد انطلقت دعوة "بن قدور" إلى "الوحدة الإسلامية" من الشريعة الإسلامية، حيث يرى بأنها حثت على الوحدة والتعاون والتضامن والتآخي "قبل أن تحث على الصلاة والصوم"(5)، وكذلك من الواقع المخزي للمسلمين الذي يتميز بالانحطاط وسيطرة الأجانب نتيجة انقسام العالم الإسلامي إلى دويلات أو "عصبيات عرقية وجنسية"(6). أما تصوره "للقومية الإسلامية" - كما كان يسميها- فهي نفس تصورات "الأفغاني" لفكرة "الجامعة الإسلامية".

---

(1)- بن قدور، "الفاروق بعد حول"، المصدر السابق.

(2)- نفسه.

(3)- نفسه.

(4)- نفسه.

(5)- بن قدور، "دان النهوض ولم يدن"، الفاروق، ع 15، 6جوان 1913م.

(6)- نفسه، ع16، 12جوان 1913م.

فالقومية الإسلامية في نظر "بن قدور" هي الرابطة التي تربط جميع المسلمين دون أي اعتبار جنسي أو لغوي أو عرقي، فهي رابطة تربط المسلم بأخيه المسلم "وإن كان إحداهما بأقصى الشرق والآخر بأقصى الغرب"([1]).

وقد أرجع "بن قدور" سواد السلف خاصة في عهد الخلفاء الراشدين إلى فهمهم العميق لمعنى الوحدة، أما مسلمو اليوم فلم يتمكنوا من فهم هذه "الرابطة الجليلة" التي وصفها بقوله:"...لو علمنا نبذة منها أو علمنا بها لما وصلنا إلى الحضيض الذي فيه نقوم ونقعد كالذي يتخبطه الشيطان من المس..."([2]).

ويرى "بن قدور" بأنه في ظّل المشاكل التي يعيشها العالم الإسلامي، لا يصح للمسلمين أن ينزعوا إلى تلك "العصبيات الممقوتة"، وهذا ليس "لأن الدين ينبذها فقط بل لأننا منها لاقينا المحن الشديدة"([3]).

فأغلب المشاكل التي يعاني منها العالم الإسلامي سببها "علة اللاّتضامن" بين المسلمين، لذلك صار العالم الإسلامي "أجزاء مفتتة ولولا رجال قدروا التضامن قدره لأودت بها تلك العلة دفعة واحدة، حيث لا يبقى للإسلام ذكر بين الآخرين"([4]).

لهذا دعا "بن قدور" إلى ضرورة إعادة بعث "القومية الإسلامية" من جديد، ذلك لأنها تمكن المسلمين من إعادة أمجادهم الغابرة، وبواسطتها يستطعون حماية حيزهم القومي الذي يكاد أن"يتلاشى بالمرة تحت حكم الحوادث"([5]).

وقد ركز "بن قدور" في دعوته على طائفة المفكرين و العلماء، فمن الواجب على المفكرين إيجاد المسوغات العلمية العملية المفضية إلى تحقيق الوحدة الإسلامية، ولا بد للعلماء من تقديم النصح للأمة، والتبيين للغافلين من العامة مدى أهمية التعاون والتضامن، وكذلك الأغنياء الذين يجب عليهم مساعدة العلماء، والمساهمة بأموالهم في إقامة المشاريع الخيرية، التي تعود بالفائدة على الأمة الإسلامية وتدفعها إلى إعادة إحياء "الرابطة الإسلامية"، وفي ذلك يقول: "...إن النجاة يا معشر المفكرين لا تنالونها مادمتم في تخاذلكم المعروف، ما دمتم لا تحترمون أفكار بعضكم بعضا، مادمتم تسفهون أحلام من يتجرأ على النبوغ

---

(1)- بن قدور، "دان النهوض ولم يدن"، الفاروق، ع15، 06جوان 1913م.

(2)- نفس المصدر.

(3)- نفسه، ع 16، 12جوان 1913م.

(4)- بن قدور، ما أكل الثور الأحمر إلا لما أكل الثور الأبيض"، الفاروق، ع53، 23مارس 1913م.

(5)- "دان النهوض..."، ع16، المصدر السابق.

منكم، مادمتم خاملين جامدين لا تجدون من أفكاركم المتنورة جرثومة عاملة متحركة حركة محسوسة... أنتم معشر الأغنياء لا تؤتيكم مثقال ذرة من السعادة مادمتم تبخلون على المشاريع العمومية بما أفاد الله عليكم، وما زلتم تسخرون من دعوة المفكرين إذا دعوكم إلى إعانتهم، إن الأمة مفتقرة في جميع شؤونها الحيوية على شيمكم فإذا تقاعستم عن إجابة دعوتها فقد سجلتم عارا على أنفسكم لا تمحيه الدهور ولا تبيده الأوقات إلى يوم النشور...أنتم معشر العلماء إنكم لا تنالون درجة العلم الحقيقية إلا إذا بذلتم مجهوداتكم في تربية من هم في مسؤوليتكم من الجهلة والأغبياء...بهذه الطوائف الثلاث نخيط الأمل في ترقية الأمة الإسلامية، فلو يهيئ الله منها حركة علمية عملية تهذيبية لتكوين الرابطة الإسلامية، وقد تكون لتلك الحركة أعمال عظيمة يتحرك بها جموع العالم الإسلامي..."([1]).

الخاتمة:

مما تقدم يمكن القول أن اهتمامات عمر بن قدور الجزائري قد جسدت فعلا البعد القومي والإسلامي في الحركة الوطنية الجزائرية، حيث عالج أغلب قضايا المسلمين مشرقا ومغربا معالجة الواعي الخبير مثل الغزو الإيطالي لليبيا، والتكالب الأوروبي على المغرب الأقصى، كما حاول تبيان عوامل ضعف العالم الإسلامي عامة والدولة العثمانية خاصة، حيث كل مشاكل العالم العربي والإسلامي يرجعها إلى علة التناكر والتنافر، لذلك دعا إلى ضرورة الإتحاد والائتلاف بين جميع الأقطار الإسلامية.

فإن كان بن قدور يرى أنه لا سبيل لنهضة الجزائر دون تربية وتعليم، فإنه يرى لا نهضة للعالم الإسلامي دون اتحاد وتكتل في إطار الجامعة الإسلامية النابذة للتعصب العرقي واللغوي. فيعد بن قدور من رواد النهضة الأوائل الذين آمنوا بفكرة الجامعة الإسلامية في الجزائر الذي ظلت تهمة تلاحق الوطنيين الجزائريين وهذا ما يفسر القرار الفرنسي الصادر ضده سنة 1915م القاضي بتوقيف جريدته "الفاروق" ونفي صاحبها إلى الأغواط مشيا على القدمين.

المصادر والمراجع:

*- المصادر:

1- أرسلان (شكيب)، تاريخ ابن خلدون، ملخص الجزء الأول، تحقيق محمد علال الفاسي، دط، المكتبة التجارية، فاس، المغرب، 1936م.

(5)- نفسه ،ع17، 20جوان 1913م.

2- دبوز (محمد علي)، نهضة الجزائر وثورتها المباركة ، ج1، ط2، م.ش.ج، الجزائر 2007م.µ

3- الفاسي (علال) ، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط1، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1948م.

❖- الجرائد:

جريدة الفاروق: ع1، 28فيفري 1913م. ع2، 14مارس 1913. ع09،11ماي 1913. ع16،12ماي 1913. ع 16، 12جوان 1913م. ع17، 20جوان 1913م. ع20، 11جويلية 1913م.ع30، 19سبتمبر 1913. ع 68، 06جويلية 1914م.ع 69، 12، جويلية 1914م.

❖ - المقالات:

- إبراهيم الحاج عيسى القراري، "حول المشروع العظيم"، الفاروق، ع74، 21أوت 1920م.

- الأصلع (بن قدور عمر) ، "هل أنت قارئ ؟"، الفاروق، ع 83، 23أكتوبر 1914.

- بن قدور، "بين الشدة واللين بأيهما نعمل"، الفاروق، ع02، 07مارس 1913م.

- بن قدور، "التصادم السياسي"، الفاروق، ع21، 18جويلية 1913م.

بن قدور، "دان النهوض ولم يدن"، الفاروق، ع 15، 6جوان 1913م وكذلك ع 16، 12جوان 1913م، وكذلك، ع19، 4جويلية 1913م.

- بن قدور، "الشعور الإسلامي في الجزائر"، اللواء المصرية، ع1954، 06فيفري 1906م. نشر وتعليق: خريف، الثقافة، ع 07، مارس 1972م، ص 118.

- بن قدور، "الفاروق بعد حول"، الفاروق، ع 51، 16مارس 1914م.

- بن قدور، "فتاة طرابلس الغرب"، الفاروق، ع16، 13جوان 1913م.

- بن قدور، "ليتقوا الله في طرابلس"، الحضارة، ع132، 17أكتوبر 1912م، نقل وتعليق: خريف، الثقافة، ع 01، مارس 1971

- بن قدور، ما أكل الثور الأحمر إلا لما أكل الثور الأبيض"، الفاروق، ع53، 23مارس 1913م.

- بن قدور، "مراكش بين الفوضى والسياسة"، المشير، ع19، 4ماي 1911م.

- بن قدور، "مشروع عظيم"، الفاروق، ع68،66، 69، 22جوان 1914م/ 06 جويلية 1914م/12 جويلية 1914م.

- بن قدور، "مصيبة تركيا في عدم الاعتبار"، الفاروق، ع11، 09ماي 1913م وكذلك ع12، 10ماي 1913م.

- بن قدور، "يا شرق"، الفاروق، ع11، 09ماي 1913م.

- الجزيري (حسين)، "التفرق داء والالتئام دواء"، الفاروق، ع 69، 12جويلية 1914م.

*- المراجع:

1- حوراني (البرت) ، الفكر العربي في عصر النهضة 1798- 1939م، ترجمة:كريم عزقول، دار النهار للنشر، دط، بيروت، دت.

2- الجابري محمد صالح ، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس1900- 1962،ط 2 دار الحكمة للنشر،الجزائر 2007م.

3- خريف، عمر بن قدور الجزائري، ط1، م.و.ك، الجزائر، 1984م.

4- راتب الحلاق (محمد) ، عبد الحميد الزهراوي، دراسة في فكره السياسي والاجتماعي، دط، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1990م.

5- سعد الله أبو القاسم ، شعوب وقوميات، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008م.

المقالات:

1- بالقاسمي بوعلام، "البعد المغاربي في إيديولوجيات الحركة الوطنية الجزائرية 1911م-1937م"، المصادر، ع07، نوفمبر 2002، ص 121.

2- بن عدة (عبد المجيد)، " من رواد الحركة الوطنية الإصلاحية في الجزائر الكاتب عمر بن قدور الجزائري 1886- 1932م"، مجلة المبرز،ع 6 ، المدرسة العليا للأساتذة ،بوزريعة، جويلية- ديسمبر 1995م.

3- خريف، "صحافتنا والصهيونية"، الثقافة، ع01، مارس 1971.

4- نفسه ، "عمر بن قدور رائد الصحافة الوطنية الجزائرية"، مجلة الحياة الثقافية، ع 32، تونس 1984م.

المراجع بالفرنسية:

-Ali Merad, «L'enseignement Politique De Mohammed Abdou aux Algériens (1903) »,in :

-Kamel *Orient ,N°28,1963,Paris , P 93.*

Filali, « En ce Yannayer 2962, L'idéologie complique La donne politique et parasite L'identitaire », in : El watan ,21janvier 2012 .

*- الرسائل الجامعية:

1- حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية 1920- 1954م، أطروحة دكتوراه (مرقونة)، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، 2011م.

2- قرين مولود، عمر ابن قدور الجزائري واهتماماته بالقضايا العربية والإسلامية (1886- 1932م)، رسالة ماجستير (مرقونة)، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، الجزائر، 2011م.

3- مريوش أحمد ،الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، أطروحة دكتورة دولة (مرقونة)، جامعة الجزائر، 2006م.